

خطبة الجمعة - الخطبة ١١٥١ : خ ١ - التوبة وحقيقتها ، خ ٢ - حماية البيئة من التلوث.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٠-٠٥-٠٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نعمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق الجهاد، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات .

كل جهل مهما عظمت نتائجه قد يُغتفر إلا أن يجهل الإنسان سرّ وجوده وغاية حياته :

أيها الأخوة الكرام، عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال:

((يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب ولا أباي، فاستغفروني أغفر لكم))

[مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه]

وفي حديث قدسي آخر، يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

((عزتي وجلالي إن أتاني عبدي ليلاً قبلته، وإن أتاني نهاراً قبلته، وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن مشى إلي، هرولت إليه، وإن استغفروني غفرت له، وإن استقالني أقلتته، وإن تاب إلي تبت عليه، من أقبل علي تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد، ومن أراد مرادي أردت ما يريد، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل طاعتي أهل كرامتي، أهل معصيتي لا أقتطعهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبيهم ؛ فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعائب، أشكر اليسير من العمل، وأغفر الكثير من الزلل، رحمتي سبقت غضبي وحلمي سبق مواخذتي، وعفوي سبق عقوبتي، وأنا أرحم بعبدي من الأم بولدها...))

[أخرجه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان]

قال ابن القيم - رحمه الله عز وجل :- "من أعجب العجب أن تعرفه ثم لا تحبه ومن أعجب العجب أن تحبه ثم لا تطيعه".

أيها الأخوة الكرام، إن كل جهل مهما عظمت نتائجه قد يُغتفر، إلا أن يجهل الإنسان سرّ وجوده، وغاية حياته، ورسالة نوعه، وحقيقة مهمته، وأكبر عارٍ على هذا المخلوق الأول المكرم، الذي آتاه الله العقل، ومنحه الإرادة، أن يعيش جاهلاً وغافلاً، يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام، لا يدري شيئاً عن

حقيقة وجوده، ولا عن طبيعة عمله في الحياة، فيضل الطريق وينحرف عنه بسبب جهله، وغفلته، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع أن يفعله عدوه به.

أو بسبب إغراء عابث، أو شهوة
جامحة، فيهبط عن مستواه الإنساني،
وتسقط قيمته النوعية، ويصل إلى الدرك
الذي يعوقه عن النهوض بتبعات الحق
والخير، عندئذ يبتعد عن التطهّر
والتسامي، ويندفع إلى تحقيق ذاته،
وإشباع غرائزه، وإيثار مصالحه، فيبني
مجده على أنقاض الآخرين، وغناه على
إفقارهم، ويبني سعادته على شقائهم،



ويظل كذلك في غفلته، ممعناً في طغيانه، حتى يوافيه الموت بغتة، فيواجه مصيره المجهول دون
تنبه له، ولا استعداد، فيدفع ثمن غفلته، وجهله، وانحرافه، شقاءً أبدياً، يندم حين لا ينفع الندم،
ويرجو الخلاص، ولات حين مناص، أما الإنسان العاقل فيبادر، ويسأل نفسه هذا السؤال، لماذا
خُلقت؟ وما مهمتي في هذا الوجود؟ وما رسالتي في هذه الحياة؟ والقرآن الكريم يجيبه عن هذه
الأسئلة قائلاً :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

[سورة الذاريات الآية : ٥٦]

العبادة غاية المحبة لله و الطاعة له :

العبادة علة وجودنا، غاية سلامتتنا، غاية سعادتنا، غاية تحقيق أهدافنا، العبادة غاية الخضوع لله عز
وجل في أمره ونهيه، لأن الله هو الجهة الصانعة، و الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي
أن تتبع تعليماتها، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)

[سورة البقرة الآية : ٢١]

أيها الأخوة، العبادة غاية المحبة لله، وغاية الطاعة له، لأن الإنسان قد جبل على حب ذاته، على
حب وجوده، على حب سلامة وجوده، على حب كمال وجوده، على حب استمرار وجوده، وهذا لا
يتحقق إلا بمشيئة الله وفضله، فما عبدَ الله من خضع له ولم يُحبه، كما أنه ما عبد الله من أحبه ولم
يخضع له .

أيها الأخوة، هناك من يعيش ليأكل، ومن يأكل ليعيش، أما المؤمن فيعيش ليعرف ربه، وليعبده، وليسعد بقربه، وقد ورد في الأثر القدسي :

((يا عبادي إني ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم على أمر عجزت عنه، إنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيراً، وتسبحوني بكرة وأصيلاً))

[ورد في الأثر]

و في حديث قدسي آخر:

((ابن آدم خلقت لك ما في السماوات والأرض من أجلك فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك))

[ورد في الأثر]

الله عز وجل أعطى الإنسان حرية الاختيار ليؤمن عمله :

أيها الأخوة الأكارم، لقد رُكِب الإنسان من عقل وشهوة - كما قال الإمام علي رضي الله عنه - وقد جاء الإسلام وهو دين الفطرة ليقوم توازناً دقيقاً عن طريق المنهج الرباني الذي رُسم للإنسان من خلال آيات القرآن، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبما أن الإنسان مُنح حرية الاختيار، هناك دائرة التكليف، والابتلاء، ونفسه هي الأمانة التي حملها، وقد أعطي حرية الاختيار ليؤمن عمله، فيكون هذا العمل الذي اختاره سبباً لدخوله روضات الجنات، أو قد يكون هذا الاختيار الخاطئ سبباً للتردي في حفر النيران، وبما أن الإنسان خُلِق ضعيفاً، ليفتقر إلى الله في ضعفه، فيسعد بافتقاره، ومن لوازم ضعفه أنه ينسى ويسهو، ويغفل ويغفو، ويضعف ويُغلب، فقد يعصي ربه، وقد يخرج عن المنهج الذي رُسم له، لهذا شرع الله للإنسان التوبة.

شرع الله للإنسان التوبة لأن التوبة مخرج النجاة للإنسان :

وفي تشريع التوبة وقبولها صيانة لحركة الهداية في الأرض، إن التوبة مخرج النجاة للإنسان حينما تُحيط به خطيئته، وهي صمام الأمان حينما تضغط عليه سيئاته، وهي تصحيح المسار حينما تُضله أهواؤه، وإنها حبل الله المتين الذي ينفذ الإنسان حينما تُغرقه زلاته. من أكبر نعم الله علينا أنه فتح لنا باب التوبة:

((وإذا رجع العبد العاصي إلى الله، نادى مناد في السماوات والأرض أن هتفوا فلاناً فقد اصطاح مع الله))

[ورد في الأثر]

قال بعض العارفين: "لأهل الذنوب ثلاثة أنهار يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تف بطهرهم طُهِروا في نهر جهنم، النهر الأول في الدنيا نهر التوبة النصوح، والنهر الثاني نهر الحسنات المستغرقة

للأوزار والسيئات، والنهر الثالث نهر المصائب العظيمة المُكفّرة، فإذا أراد الله بعبد خيراً أدخله في الدنيا أحد هذه الأنهار الثلاث، فيأتي يوم القيامة طيباً طاهراً، فلم يحتج إلى التطهير الرابع.

((وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه، إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده، أو إقتاراً في رزقه، أو مصيبة في ماله أو ولده، حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه))

[ورد في الأثر]

فإذا وصل أحدنا إلى شفير القبر وقد طهره الله من كل خطيئة، كان من أكبر الناجحين في الحياة، يا بني ما خير بعده النار بخير، وما شر بعده الجنة بشر، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.

معرفة الله أحد أكبر أسباب الرجوع إليه :



أيها الأخوة الكرام، تصوروا لو لم تُشرع التوبة لهلك الناس، ولعمّ الفساد في الأرض، لأن الإنسان إذا طُرد من رحمة الله، لمجرد معصية واحدة، فلن يرجع إلى منهج ربه لانعدام الأمل في القبول، ولم يرجع وقد طُرد من رحمته؟ عندئذ سيعربد في الأرض انحلالاً، وانحرافاً، وطغياناً.

رأى بعض العارفين في بعض سكك المدينة باباً قد فُتح، وخرج منه صبي يستغيث، ويبكي، وأمه خلفه تطرده، حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه، ودخلت فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف مفكراً، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، وجد الباب مُرتجاً، أي مغلقاً، فتوسده ووضع خده على عتبة الباب، ونام، فخرجت أمه فلما رأته على تلك الحال لم تملك إلا أن رمت بنفسها عليه، والتزمته تقبله، وتبكي وتقول: يا ولدي أين تذهب عني؟ ومن يؤويك سواي؟ ألم أقل لك لا تُخالفني؟ ولا تحملني بمعصيتك على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادة الخير لك؟ هذا مثل تقريبي، ثم أخذته ودخلت، والآن نتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم :

((لله أرحم بعبده من الأم بولدها))

[البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

حقيقة التوبة الرجوع إلى الله عز وجل، ولا يصح الرجوع إلى الله إلا بمعرفة الله، بمعرفته موجوداً وواحدًا وكاملاً، هو الذي خلق، هو الذي يربي، هو الذي يسير، صاحب الأسماء الحسنی والصفات الفضلی.

من معاني التوبة :

١ - الرجوع إلى الله عز وجل :

معرفة الله أحد أكبر أسباب الرجوع إليه، ومعرفة أنه كان فاراً من ربه، لكنه أسيراً في قبضة عدوه الشيطان، وأنه ما وقع في مخالاب عدوه إلا بسبب جهله بربه، وجرأته عليه، فلا بد من أن يعرف كيف جهل؟ ومتى جهل؟ وكيف وقع أسيراً؟ ومتى وقع؟ التوبة في معناها الأول الرجوع إلى الله عز وجل.

٢ - التخلص من العدو والرجوع إلى الكريم الرحمن الرحيم :

والتوبة هي التخلص من العدو، والرجوع إلى الكريم الرحمن الرحيم، والسير على صراطه المستقيم.

٣ - خلغ ثياب المعصية وارتداء ثياب الطاعة :

التوبة خلغ ثياب المعصية، وارتداء ثياب الطاعة.

٤ - ترك المحظورات وفعل المأمورات:

التوبة ترك المحظورات وفعل المأمورات، و التزام فعل ما يحب الله، وترك ما يكره، وقد علق الله سبحانه وتعالى الفلاح كله، الفلاح هو النجاح في الدنيا والآخرة معاً على فعل المأمور، وترك المحظور، فقال تعالى:

(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

[سورة النور الآية : ٣١]

فكل تائب مفلح، وكل تارك الأمر ظالم لنفسه أشد الظلم، وفاعل المحظور ظالم لنفسه أشد الظلم، قال تعالى :

(وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

[سورة الحجرات الآية : ١١]

فرح الله عز وجل بتوبة عبده المؤمن :

التوبة حقيقة الدين، والدين كله داخل في التوبة، لهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله، قال تعالى :
(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

[سورة البقرة الآية : ٢٢٢]

ولذلك يفرح الله الفرح العظيم بتوبة عبده المؤمن، فقد ورد في الحديث الشريف:

((إِنَّ اللَّهَ أَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الضَّالِّ الْوَاجِدِ، وَالظَّمَّانِ الْوَارِدِ، وَالْعَقِيمِ الْوَالدِ))

[ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن أنس]

وهذه التشبيهات الثلاث من أبلغ التشبيهات، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ - لَا نَبَاتَ فِيهَا - مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ، فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ : أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَاتَّامَ حَتَّى أَمُوتَ، أَيَقِنُ بِالْهَلَاكِ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ))

[متفق عليه واللفظ لمسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

أراد الله أن يبين لنا كم يفرح الله فرحاً عظيماً إذا عدنا إليه، إذا رجع العبد العاصي إلى الله، نادى منادٍ في السماوات والأرض أن أيتها الخلائق همنوا فلاناً فقد اصطَلَحَ مع الله .

التوبة علم وحال وعمل :

أيها الأخوة الكرام، التوبة كما يرى الإمام الغزالي علم وحال وعمل. إنها علم؛ لأن أول مرحلة في حلّ أية مشكلة أن تعلم أن هناك مشكلة، وإن أول مرحلة في التوبة من الذنب أن تعلم أن الذي تقترفه هو ذنب، إذا تفقّهت في الدين عرفت طاعتك من ذنوبك، بل عرفت ذنوبك من طاعتك، فلا بد من علم كي تعرف أن هذه الصفقة محرمة في دين الله، وأن هذه البضاعة محرمة، وأن هذا اللقاء محرّم، وأن حضور هذه الحفلة محرّم، كيف تعرف أنك مخالف للشريعة؟ ينبغي أن تعرف الشريعة، فلذلك طلب العلم شرط أساسي للتوبة.

كيف يتوب المرء من الشرك الخفي، أو من الشرك الجلي، وهو لا يعلم ما الشرك؟ وما التوحيد؟ ولا كيف يصل إلى التوحيد؟ ولا كيف ينزلق في الشرك؟ وهو لا يعلم ما التوحيد؟ لا بد من طلب العلم، كيف يتوب المرء من سوء الظن بالله؟ قال تعالى :

(وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ

ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)

[سورة الفتح الآية : ٦]

أيها الأخوة، هذا الذي لم يبذل جهداً، ولم يُخصص وقتاً لمعرفة الله، ومعرفة أسمائه، أسماء ذاته، وصفاته، وأفعاله، كذلك لا يعرف مصادر المعرفة، ولا منهج المعرفة، كيف يتوب المرء من سوء الظن بالأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه، وطهرهم، وزكاهم، وعصمهم، وجعلهم أسوة حسنة، وقدوة سالحة، ومثلاً أعلى لخلقهم؟

كيف يتوب المرء من هذا الذنب، وهو لم يسأل الراسخين في العلم، عن حقيقة عصمتهم، وسرِّ موافقهم، وتأويل الآيات المتشابهة عنهم؟

وكيف يتوب المرء من كسب المال الحرام، وهو لا يعرف حدود الحلال والحرام، ولا حقيقة الربا، ولا شروط البيع، ولا ما يلابسه من حالات تجعله فاسداً أو باطلاً، كما لا يعرف طرق الكسب المشروعة وغير المشروعة، وقد قال بعض العلماء : ترك دائق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام. قد يكون الدخل كله حراماً وقد تكون المتاجرة بهذه المادة حراماً.

كيف يتوب من الذنوب المتعلقة بإنفاق المال، وهو لا يعرف الحقوق والواجبات، ولا الحلال والحرام، ولا قيمة المال في الإسلام، ولا دوره الخطير في صون العرض والتقرب إلى الرب؟ وكيف يتوب المرء من ذنب البغي على الشريك، وهو لا يعلم متى يكون عقد الشركة صحيحاً، ومتى يكون فاسداً أو باطلاً؟ كذلك لا يعلم أن الله ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه . وكيف يتوب المرء من ذنوب العلاقات الاجتماعية، ولا سيما الاختلاط، وهو لا يعرف آداب الإسلام وأخلاق المسلم، كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم؟

الإسلام وأخلاق المسلم، كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم؟

كيف يتوب المرء من ذنب عقوق الوالدين، والجور في معاملة الأبناء، وهضم حقوق الزوجة، وحرمان البنات من الميراث، وهو لا يعلم أوامر الله ونواهيه في كل ما يتعلق بالأسرة؟ كيف يتوب المرء من الكذب، والتدليس، والغش، والاحتكار، ورفع الأسعار، وهو لا يعلم ما عند الله عز وجل من عظيم الإكرام إذا هو نفع عباده، وخفف عنهم أعباء الحياة، ولا يعلم ما عند الله من شديد العقاب إذا هو أكل أموالهم بالباطل؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

ما من خروج عن هذا المنهج إلا بسبب الجهل :

أيها الأخوة، هذا على سبيل الاصطفاء لا على سبيل الاستقصاء، لا بد من أن تطلب العلم لتعرف ما إذا كنت مذنباً أو غير مذنب، ما من مشكلة يعاني منها المجتمع البشري إلا بسبب الخروج عن منهج الله، الذي ارتضاه الله لعباده، وما من خروج عن هذا المنهج إلا بسبب الجهل، والجهل هو أعدى أعداء الإنسان، الجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.



التوبة علم، وحال، وعمل؛ العلم بالله، والعلم بأمره، والعلم بأخطار الذنوب، وما يفوت على المرء من خير كثير، وما يجلب له من ضرر كبير، إن العلم بخطورة الذنب، وما يترتب عليها من آثار وبيلة تبدأ في الدنيا، وتمتد إن لم ينتب إلى الآخرة، إن هذا العلم يؤيد حالة نفسية مؤلمة وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها الندم، فقال :

((الندم توبة))

[رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود]

إن طلبت العلم عرفت ما إن كان الدخل حلالاً أو حراماً، ما إذا كان هذا الزواج صحيحاً أو فاسداً، ما إذا كانت هذه الحرفة مقبولة أو مرفوضة.

الندم لا يخلو من علم سببه أو عمل أورثه :

أيها الأخوة، قال العلماء: لا يخلو الندم من علم سببه أو عمل أورثه، وربما وضحت قصة سيدنا عمر - رضي الله عنه - مع المرأة المرضع، حالة الندم هذه، قال عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه -: قدمت المدينة قافلة نزلت في المصلى، فقال لي عمر: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ فبنتنا نحرسهم، ونصلي ما كتب الله لنا من الصلاة، سمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه، وقال لأمه: اتق الله، وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه ثانية، فعاد إلى أمه فقال: اتق الله، وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال: ويحك ما لي أرى ابنك لا يقر هذه الليلة؟ قالت: يا عبد الله، قد أضجرتني هذه الليلة، ما شأنك بنا إني أجبره على الفطام فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض العطاء - أي التعويض - إلا للفظيم قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: ويحك لا تعجلي عليه، ثم صاح مخاطباً نفسه، والألم يعتصر قلبه: ويحك يا بن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين؟ فلما صلى الفجر ما استبان الناس قراءته من شدة بكائه، ثم أمر منادياً فنادى: لا تعجلوا على صبيانكم في الفطام، فإننا نفرض عطاء لكل مولود في الإسلام، وكتب بهذا إلى الآفاق .

وقد سُمع عمر - رضي الله عنه - وهو يصلي بالليل في المسجد، يُناجي ربه ويقول: يا ربِّ هل قبلت توبتي فأهتئ نفسي أم رددتها فأعزيتها ؟
التوبة علم، وحال، وعمل ، لا بد من أن تطلب العلم حتى تعلم ما إن كانت حرفتك مقبولة عند الله أو غير مقبولة، لا بد من أن تطلب العلم حتى تعلم أن طريقة شراء هذه الصفقة حلال أو حرام.

استحالة التوبة مع مباشرة الذنب :

أيها الأخوة، حالة الندم يولدها العلم، والعلم يولد الإرادة، والإرادة تنتهي بالعمل، التوبة عملية معقدة، يجب أن تطلب العلم كي تعرف أين أنت من الشرع؟ أين دخلك؟ أين إنفاقك؟ أين أسرتك؟ أين بناتك؟ فالتائب يترك الذنب الذي كان متلبساً به في الحال، ويقطع عنه، إذ تستحيل التوبة مع مباشرة الذنب، وحينما يعرف المرء من هو الأمر، إنه خالق السماوات والأرض، وهو على كل شيء وكيل، ومن إليه يُرجع الأمر كله، وإليه المصير، حينما يعرف المرء أن سعادته في الدنيا والآخرة، متوقفة على فعل أوامره، وترك نواهيه، وحينما يعرف المرء كل هذا يقلع عن الذنب لتوه.

أما الفعل المتعلق بالاستقبال، فهو العزم الصادق الأكيد على ألا يعود إلى مفارقة الذنب، كما يكره الإنسان أن يُلقى في النار، وقد فسّر سيدنا عمر - رضي الله عنه - التوبة النصوح بأن يتوب العبد

من الذنب، ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبث إلى الضرع، وقد قال سعيد بن المسيب في التوبة النصح: "إنها توبة تنصحون بها أنفسكم".

أما الفعل المتعلق بالماضي فهو الاستغفار، إذا كان الذنب بين العبد وربّه، والإصلاح إذا كان الذنب متعلقاً بحق آدمي، فإن حقوق العباد مبنية على المشاحنة، بينما حقوق الله مبنية على المسامحة، لا بد للتائب من أن يخرج من هذا التعلق إما بأداء الحق إلى صاحبه، أو إلى ورثته، أو بالتصدق عنه، أو باستحلاله منه، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن تؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه))

[رواه البخاري عن أبي هريرة]

لذلك، قال تعالى :

(إِنَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

[سورة النور الآية : ٥]

وأخيراً..

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، و سيتخطى غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها، و تمنى على الله الأمانى .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

دور الإسلام في النظافة وحماية البيئة :

أيها الأخوة الكرام، معي كتاب من السيد وزير الأوقاف - جزاه الله خيراً - يحثكم على أن نكون في مستوى معرفة دور الإسلام في النظافة وحماية البيئة، حماية البيئة شغل العالم الشاغل، هذا النمط الغربي من الحياة سبب بيئة ملوثة، ملوثة في هوائها، وفي مائها، وفي نباتاتها، هذه الأدوية الزراعية الكيماوية، لوثت التربة، وارتفعت ملوحتها، وأصبح الإنتاج النباتي عديم الطعم، كبير الحجم، لا يغذي ولا ينفع، هناك شيء لخصه القرآن الكريم بكلمة واحدة بأخر الزمان:

(فُلْيَعِيرُنْ خَلَقَ اللّٰه)

[سورة النساء الآية : ١١٩]

لذلك هناك تعميم من السيد وزير الأوقاف في سوريا على أن نعرف دور الإسلام في حماية البيئة من التلوث، والتلوث كلمة واسعة جداً أنا أضيف التلوث الأخلاقي، تلوث في الهواء، تلوث في العلاقات، فيا أيها الأخوة الكرام، لنعد جميعاً إلى هذا الدين العظيم القائم على النظافة، والنظافة من الإيمان لا بمعناها الضيق نظافة الثوب، والبدن، والمكان، بل بمعناها الواسع نظافة القلب، ونظافة العلاقات، ونظافة الأهداف.

توعية الناس وحثهم على الالتزام بالقواعد المرورية :

هناك تعميم آخر أيضاً يهيب السيد وزير الأوقاف بخطباء المساجد بضرورة توعية الناس، وحثهم على الالتزام بالقواعد المرورية، وقد علمت أنه قبل أيام معدودة بدأ تنفيذ قانون المرور الجديد، ويقتضي بالسجن ثلاثة أشهر لكل من يخالف بعض المخالفات، القضية الآن أخذت أبعادها الكبرى، الهدف حماية أرواح الناس، الآن بإحصاءات عالمية أن أكبر عدد من الذين يموتون في الأرض بحوادث المرور أكبر من أي مرض وبائي، والإنسان كائن حي، الحياة من حقه، أما أن يموت بخطأ، بشاب طائش، بسرعة زائدة، بمخالفة لقوانين السير.

فالبلغان مهمان جداً؛ الأول أن نأخذ بقواعد قانون المرور الذي فيه غرامات كبرى قد تصل إلى خمسين ألفاً، وهناك سجن ثلاثة أشهر، لسرعة زائدة، لطريق ممنوع، لعدم التقيد بالإشارات، هذا كله للصالح العام، وهذا يدخل مع منهج الله عز وجل، حماية أرواح الأمة هدف كبير، تصور إنساناً عنده غلام يكاد لا يحتمل فراقه، يأتي الخبر أنه مات بحادث، ألا يتألم؟ عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، فأرجو الله عز وجل أن يلهمكم الصواب في قيادة المركبات.

والشيء الثاني موضوع البيئة، البيئة الآن شغل العالم كله الشاغل، البيئة الملوثة الآن أحد أكبر مصادر الأمراض في الأرض، معي تقرير دقيق من منظمة الصحة العالمية أن هناك في الأرض ثلاثمئة مليون إنسان مريض بأمراض القذارة، والرقم أقل ما يكون في العالم الإسلامي، بسبب الوضوء والاعتسال الأسبوعي.



اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك، اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، انصر المسلمين في كل مكان، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم الأكرمين .

والحمد لله رب العالمين